الخبر في السرد العربي وقضايا التصنيف

رشيدة عابد
المركز الجامعي -البويرة

مقدمة:

لقد ولع العرب برواية وتدوين الأخبار لعدّة أسباب ما زال البحث جاريا في تقصّيها، فقد تنبّه الباحثون العرب في العصر الحديث إلى التّراث السّردي الهائل الّذي تركه أسلافنا مدونا في ثنايا المجلدات الضّخمة، بالرغم أن أغلبها ضاع، ولعل التطور الذي وصلت إليه مناهج نقد ودراسة الأنواع السردية والّتي تمخّض عنها علم قائم بنفسه وهو "علم السرد" أحد أسباب هذا الالتفات.

يقوم هذا المقال على فرضية مفادها أن ثّمة عدة أشكال وأنواع للسرد العربي القديم والّتي يضمها جنس الخبر، فإن السؤال الذي نطرحه هنا: ما الخبر؟ وما أشكاله وأنواعه؟ ما هي القضايا التي يطرحها عند محاولة تصنيفه؟ وأخيرا كيف تتجلى خصوصية الخبر من حيث هو جنس سردي عربي محض بالمقارنة مع الأجناس السردية الغربية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة سنحاول إيجاد اعتبارات للتصنيف، ومن ثمّ تقديم تصنيف للخبر العربي من خلال كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة (213-276 هـ) باعتباره من أوائل الكتب الّتي قيّدت الأخبار العربية.

الخبر ومبادئ التصنيف:

يتقدّم الخبر باعتباره جنسا سردياً-حكائيا، وإذا ما نظرنا إلى موقعه ضمن منظومة الخطابات التّراثية، فإننا نوافق الطّرح الّذي قدمه سعيد يقطين على أنّه أحد أجناس الكلام الثّلاث: الحديث، الخبر والشعر؛ بمعنى أنّ عمليّة الإخبار هي "إنجاز" للكلام بصدد ما وقع، فالمُخبِر (إذا جازت مقابلته بالمتكلِّم أو المحدِّث) يخبر عن شيء ليجعل المخاطَب على علم بما وقع، وهنا ستكون العلاقة بين المخبِر والإخبار والمخاطَب تقوم على الانفصال بوجه عام لأنّها تتمّ على مسافات متعدِّدة الملامح والأبعاد[1].

استنادا لهذا ستتمّ معاينة الخبر باعتباره شكلا سرديّا-حكائيّا متعدّد الجوانب، وهنا لا بأس من الإشارة إلى القيود الّتي وُضِعت على السّرد، والّتي أدّت إلى إقصاء جانب هام منه، إذ «لم يكن السّرد مقبولا في الثّقافة الكلاسيكية إلاّ عندما يشتمل على حكمة (كليلة ودمنة) أو عبرة (السرد التاريخي) أو صورة بلاغيّة ترفع من قدره (المقامات)»[2]. على هذا الأساس لا نكاد نعثر في التراث على وجهات نظر اهتمّت بالسّرد بمعزل عن أحد هذه الأهداف والغايات أو كلها مجتمعة، انطلاقا من النّسق الثّقافي الّذي حكم الأخبار وروايتها وتدوينها في التّراث، وبالاعتماد على ما تقدّمه النّظريات السّردية الحديثة وما تمدّ به نظريةَ الأنواع من معاييرَ للتّصنيف سنحاول مقاربة الأنواع الّتي تندرج ضمن شكل الخبر كما يقدِّمه مصنَّف "عيون الأخبار"، والّتي لاحظنا مبدئيًّا أنّها تخضع لاعتبارات يمكن اعتبارها بمثابة معايير للتّصنيف، بحكم أنّ الالتزام بوجهة نظر واحدة للخبر ستحجب عنّا باقي الزوايا، وهي:

1- البسيط/ المركّب: ويتعلق الأمر بتصنيف بنيات الخبر؛
2- الواقعي/ اللاّواقعي: ويتعلق بتصنيف أنماط الخبر؛
3- الجدّي /الهزلي: ويتعلّق بتصنيف لمقاصد وأبعاد الخبر.

أولا: بنيات الخبر: من البسيط إلى المركّب

إنّ أوّل اعتبار يتم على أساسه –عادة-الفصل بين الأنواع السّردية هو البساطة والتّركيب هذه الثنائية التي تقابل في أحيان كثيرة بثنائية أخرى هي الطول والقصر، وهو ما اتّضح نظريا منذ الشكلانيّين الروس[3]، وعززته دراسات لاحقة[4] ركّزت على فكرة مفادها أنّ الأشكال البسيطة والقصيرة هي النّواة الأساس لتشكّل الأشكال الطويلة، والأمر نفسه ينسحب على السرد العربي، وهنا لابد من التّنويه بالاقتراح الّذي قدمه سعيد يقطين، حيث يرى أنّ الخبر شكل أو جنس جامع لأنواع متعدّدة حدد منها أربع أطلق عليها اسم "الأنواع الأصول" وهي: الخبر، الحكاية، القصة، السّيرة. والعلاقة التي تصل بين هذه الأنواع هي علاقة تراكم على مستوى الأحداث والشخصيات، «فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائيّة، فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتّصلة، والقصّة تراكم لمجموعة من الحكايات، والسّيرة تراكم لمجموعة من القصص»[5]، وأن كلا من الخبر والحكاية يرتكزان على "الحدث" ، في حين

ترتكز القصّة والسّيرة على "الشخصية"، وهذه الأنواع متكاملة فيما بينها موجودة أبدا ولكنها ثابتة ثباتا نسبيا، بمعنى قابليتها للتجدد والتحول والتوالد.

إذا انطلقنا من مقترح يقطين فإنّنا نسلم ابتداء أنّ "عيون الأخبار" يحتوي على نوعين هما: الخبر البسيط، والخبر المركب أو الحكاية، فقد اهتمّ ابن قتيبة بتدوين قصار الأخبار والحكايات دون طوالها، فكيف يبدو هذان النوعان في "عيون الأخبار"؟

1- الخبر البسيط:

استنادا لما سبق يمثّل الخبر البسيط نوعا فرعيا للخبر، إلى جانب الأنواع الأخرى، مشتركا معها في خاصيّة السّردية، ولأنّ السرد لا حصر له باعتباره حاضرا في كل مكان وزمان، كما لاحظ رولان بارت، إلاّ أنّه لابدّ من التمييز بين الاعتباطي الأكثر تعقيدا، والتّأليفي الأكثر بساطة[6]، وكون عملية الحكي في أصلها تبدأ من البسيط وتنحو نحو المركّب، فقد عمل المشتغلون بالسّرد على وصف بنية قاعديّة تشكل أساس الحكي، أو لنقل أنّها المراحل الّتي يمرّ بها الحدث عادة في السّرود البدئية البسيطة، والّتي أطلق عليها بـ (التوازن-خرق التوازن-إعادة التوازن)، وحيث أنّ الخبر وحدة سرديّة بسيطة فيجوز مماثلته بالمتتالية الحكائية البسيطة على نحو ما قدمها ***كلود بريمون*** (***C.Brémonde***)، حيث تمرّ بثلاث مراحل:[7]

1-وضعية "تفتح" إمكانية سلوك ما أو حدث ما.

2-الانتقال إلى بداية الفعل بالنسبة لتلك الإمكانية.

3-نهاية الحدث الذي يغلق مسار المتتالية إما بالنجاح أو الفشل.

وكل مرحلة من هذه المراحل لها إمكانيتان: التحقق أو عدمه، وهنا نستحضر النموذج التالي:

«عن الحسن: أنّ شابّين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فأغزى أحدهما، فأوصى أخاه بأهله، فانطلق في ليلة ذات ريح وظلمة إلى أهل أخيه يتعهّدهم، فإذا سراج في البيت يزهر، وإذا يهوديّ في البيت مع أهله وهو يقول:

وأشعثُ غرَّهُ الإسلام منِّي خلوتُ بعِرسِه يوم التَّمامِ

أبيتُ على ترائبها ويُضحِي على جرداءَ لاحقةَ الحزامِ

كأنَّ مجامعَ الرِّبلاتِ منها فِئامٌ ينهضونَ إلى فئامِ

فرجع الشَّاب إلى أهله فاشتمل السّيف حتى دخل على أهل أخيه فقتله، ثم جرَّه وألقاه في الطريق، فأصبح اليهود وصاحبهم قتيل لا يدرون من قتله، فأتوا عمر بن الخطّاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له، فنادى عمر في النّاس: الصّلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أنشد الله رجلا علم من هذا القتيل علما إلاّ أخبرني به، فقام الشّاب فأنشده الشّعر وأخبره خبره، فقال عمر: لا يقطع الله يدك. وهدر دمه»[8]

انطلاقا من متن هذا الخبر نلاحظ أنّه يبتدئ بوضعية افتتاحيّة تمهّد للحدث الرّئيسي، أو انفتاح إمكانيّة وقوع الفعل، وهي بمثابة الإيعاز أو الإثارة وهي متنوعة قد تختلف :عقليّة، وجدانيّة، حسيّة..، فقد كانت الإثارة متعلّقة بالمشاعر والأحاسيس عند الشّاب المسلم الّذي حرّكته عاطفة الغيرة على الدّين والعرض لقتل اليهوديّ.

أصبحت الظروف مهيّئة لوقوع الفعل أو الحدث الرئيسي (الخرق)، حيث يهجم الشّاب المسلم على اليهوديّ ويقتله . وهكذا فإنّ حصول الخرق إعلان عن حالة اللاّتوازن الّتي تستدعي إعادته وإصلاح الخرق.

ويتمّ الكشف عن القتل بوجود جثة الضحيّة ويتمّ الخلاص باعتراف الشّاب مستشهدا بالأبيات، فيثني عليه عمر بن الخطاب ويهدر دمه، وهنا تحدث المفارقة، وأثر الغموض الدّافع إلى التّفكير عند المتلقّي على نحو ما أشار كل من توماتشيفسكي ومونتاندون.

نصل من خلال هذا التّحليل إلى أنّ الخبر متتالية سرديّة بسيطة تنفتح بوضعية معيّنة (توازن) ليحدث فعل يؤدي إلى لا توازن، ثمّ تعود الأمور إلى نصابها بإعادة التوازن وإصلاح الخرق.

ولنا أن نتساءل هنا ماذا لو لم تتحقّق هذه الإمكانات السرديّة؟ ماذا لو لم يحدث الخرق؟ماذا لو لم يكن هناك لا توازن أصلا؟ هل نلغي هذا التّوصيف؟ أم نصف بنية الخبر بعدم الاكتمال ؟

لفت انتباهنا ونحن بصدد استقراء الأخبار الّتي أوردها ابن قتيبة في مصنّفه، أنّها غالبا ما تخرق هذا المسار الذي مرّ معنا، حيث تتوقف عند نقطة معيّنة هي القول أو الكلام، حيث يصبح الحدث أو الفعل الّذي ترتكز عليه بنية الخبر فعل القول،«فالخبر يقوم على استعادة قول مأثور، ونقل حوار طريف بين شخصين»[9]، ليكون الكلام بؤرة الخبر، وهذا ما يتضح من الخبر التالي:

«قال أبو محمد: شُوِيَ لجعفر بن سليمان الهاشميّ دجاج ففقد فخذ من دجاجة فأمر فنودي في داره: من هذا الّذي تعاطى فعقر! والله لا أخبز في هذا التنّور شهرا أو يُرد!فقال: ابنه الأكبر: أتؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا!»[10]

يبتدئ الخبر بوضعية سرديّة تفتح إمكانية وقوع حدث ما،أو على الأقل هذا ما يعتقده القارئ، ولكنّ مسار الوظائف يتوقّف ولا يكتمل فلسنا نعلم شيئا من أمر جعفر بن سليمان هل نفّذ تهديده بعدم الطبخ في التنور شهرا كاملا؟ أم أنّه اكتشف المعتدي على دجاجته "المشويّة"، واسترد فخذها المفقود، لم يورد سارد الخبر شيئا من هذه الإمكانيات لأن بؤرة الخبر تركّزت على الحدث القولي، لا الحدث الفعلي، وهذه خصوصية امتاز بها الخبر البسيط ممّا جعله يفلت من الإجراءات الصارمة الّتي تقترحها النّظريات السّردية.

هناك تنويع آخر للخبر البسيط يشدّ انتباهنا في "عيون الأخبار"، فليس هناك لا توازن ولا خرق، بل سرد لحدث، أو فعل مرتبط بشخصية ما، تمارسه بصفة متكررة فيغدو مرتبطا بها، كما يتّضح في النماذج التالية:

-«حدّثني محمّد بن عبيد الله قال: حدّثنا أسامة عن المجالد عن الشّعبي عن عمّه قال: صحبتُ ابن مسعود حولا من رمضان لم يصم يوما واحدا فأهمّني ذلك وسألت عنه، ولم أره صلّى الضّحى حتى خرج من بين أظهرنا»[11]

- «أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيّان قال: كان عيسى بن عقبة يسجد حتى إنّ العصافير ليقعن على ظهره وينزلن، ما يحسبنه إلا جرم حائط»[12]

- «الأعمش عن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب»[13]

يعرض السّارد هنا أفعالا تتعلق بحياة شخصيات معروفة، وعليه فالبؤرة التي ترتكز عليها هذه الأخبار هي الإخبار عن الكيفية الّتي كانت تُؤدَّى بها تلك الأفعال من قبل الشّخصيات وهذا لا يستدعي المراحل التي مرّت معنا، لأنّ المهمّ في الخبر إبراز حادثة أو سلوك (حسن أو سيء) بغية تركه أو اتّباعه بحسب المقاصد الّتي يبتغي المصنف تحقيقها وهو ما سنعرض له لاحقا.

ركّزنا في تحليلنا هذا على الأحداث والأفعال أو الجانب الحكائيّ للخبر على اعتبار أنّ البساطة تبرز في التّركيز على الحدث الأساسيّ وإهمال التّفاصيل، فحتّى الأشكال الطويلة الأكثر تعقيدا كالسيرة مثلا تخضع للمراحل الثلاث الّتي تحدّثنا عنها، مما يستلزم عدم إقصاء العناصر الأخرى، فالشخصية المفردة –غالبا-في الخبر وانعدام تأطير زماني ومكاني لهما دورهما في تركيز الخبر واختزال بنيته، وانعدام التفاصيل والجزئيات، وهذا الاختزال يتقدم باعتبار طرائق السرد وصيغه.

وعليه يمكن القول أن الخبر البسيط يتمظهر من خلال "عيون الأخبار" في ثلاثة أشكال: شكل يعتمد على بنية أحداث متصاعدة(التوازن-خرق التوازن-إعادة التوازن)، وشكل يخرق هذه البنية ويركز على الحدث الكلامي، وآخر يصف الفعل أو الحدث باعتباره أحد مكونات الشخصية.

2- الخبر المركب: الحكاية

إنّ تحول الخبر البسيط إلى حكاية يتمّ عبر عمليّات تراكمية على مستوى الأحداث من جهةٍ وعلى مستوى الخطاب من جهة أخرى وهو ما يشكّل بنية إطنابيّة.[14] وعليه سيكون حديثنا هنا عن بنية الحكاية تأكيدا لانفتاح بنية الخبر البسيط، ومن ثمّ حديث عن التّقنيات المختلفة الّتي يتم بواسطتها توسيع البنية الحكائيّة للخبر البسيط عن طريق إحداث تراكم على مستوى الأحداث، فاستعادة التّوازن الّتي تمّت على مستوى الخبر البسيط كما مرّ معنا وانغلاق المتوالية، تُخرق من جديد ويعاد فتح المتوالية على متوالية جديدة، كيف يتم ذلك؟ كيف يخرق الوضع المتوازن من جديد؟ وكيف يرتبط الخبر بالخبر مشكّلا حكاية؟ كل هذا سيتضح من خلال رصد تقنيات

الحكي كما تتجلى في ***"عيون الأخبار"*** ، وهنا سنلجأ إلى عينات تمثيلية، حيث سنكتفي بملخصات ثلاث حكايات بغية الاختصار، مع الإشارة إلى موقعها من المدوّنة حتّى يتسنّى لقارئ البحث الرجوع إلى متونها.

ـ الحكاية الأولى: حكاية ملك الهياطلة وفيروز بن يزدجر ملك فارس[15]

يمكن تلخيص أحداثها في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

فيروز بن يزدجر يسير بجنوده نحو خراسان لغزو اخشنوار/اخشنوار يعلم بذلك فيجمع رجاله للمشاورة/تطوّع رجل منهم للإيقاع بفيروز/امتحان اخشنوار للرجل للتّأكد من كفاءته/نجاح الرجل في الامتحان وانطلاقه لتنفيذ المهمّة.

المرحلة الثانية:

مبعوث اخشنوار يقف في طريق اخشنوار ويضلّله بخدعة/تحذير وزراء فيروز له من كيد الرجل/فيروز يخالف التّحذير فيهلك جنوده عطشا/فيروز يستسلم ويتعهّد بعدم تجاوز حدود المملكة.

المرحلة الثالثة:

فيروز يقرر-بعد مدّة-غزو اخشنوار من جديد/تحذير وزراءه من عاقبة الغدر والبغي لما في ذلك من العار وسوء المقالة/فيروز يخالف التّحذير ويصرّ على الغدر بعهده/احتدام المعركة وانهزام فيروز.

تُشكِّل المراحل الّتي حدّدناها لهذه الحكاية مجموعة من المتواليات السرديّة تتّجه نحو نهاية محددة، ونلاحظ أنّها تتشكّل من المراحل الثلاث الّتي رأيناها على مستوى الخبر البسيط، فثمّة خرق للتّوازن وسعي لاستعادته، ففي هذه الحكاية وغيرها من الحكايات يتمّ فتح المتواليات من جديد واختراقها لتبدأ سلسلة جديدة يشدها رباط محكم ووثيق، وهنا تلعب خبرة السّارد دورها، في إقناع المتلقّي بمنطقيّة الأحداث بتوظيفه لمبدأ السببية، فكان يمكن للملك فيروز أن يأخذ بنصيحة وزرائه، أو أن يلتزم بالمعاهدة ويعتبر من مخالفاته السّابقة لتحذيرات وزرائه، ولكن المسافة الزمنيّة كانت كفيلة بجعله ينسى الدّرس الّذي مرّ به، كما أنّ حبّ التّملك والاتّساع في رقعة دولته جعله يصر على الغزو، كذلك كبرياء وغرور الملوك حال بينه وبين الأخذ بالنّصيحة، وبهذا تنفتح المتوالية من جديد ليحدث الخرق الّذي تهيّأت أسبابه، فنشهد تناوبا لحالات التّوازن واللاّتوازن، فتطول الحكاية وتتحول بذلك إلى قصة أو سيرة، وما هذه الحكاية إلاّ مقتطفا من سيرة ملوك العجم، وهو ما يشهد به الإسناد الذي يقدمه بها ابن قتيبة « قرأت في سير العجم أنّ فيروز بن يزدجر بن بهرام لمّا ملك سار بجنوده...».

إنّ التأمل في أحداث هذه الحكاية يجعلنا نميّز بين أحداث أساسيّة، وأخرى ثانويّة، ولنمثل عن هذه الأخيرة بإخضاع اخشنوار الرّجل المتطوّع للامتحان، فهو حدث مكمِّل للأحداث الأساسيّة، وتجسيد لبداية التّراكم على المستوى الحكائي،

«وحصول هذا التّراكم لا يعني التّوظيف المجّاني بهدف الإطناب أو التّطويل لإثارة القارئ كما يزعم البعض. إن الراوي وهو ينتقل في الزّمان والفضاء ينقلنا من حدث إلى آخر مختلف تماما يشغّل تقنيات هائلة (...) وهو في كل هذه الحالات يمسك بخيط الحكي بمهارة وصرامة»[16].

وعلى هذا الأساس فكل فعل وكل شخصية وكل ما يرد أثناء الحكي له دوره في البناء، ففي توظيف الشخصيات نميّز فواعل رئيسية (فيروز، اخشنوار) وفواعل ثانويّة مساندة أو معارضة للفاعل الرّئيسي (المتطوع، الوزراء، الجنود) وكل هذه الشّخصيات بما تؤدّيه من أفعال تتحرّك في فضاء زماني ومكاني محددين بواسطة مؤشرات عديدة على مستوى الخطاب.

هذا التّركيب على مستوى الأحداث يعضده تركيب على مستوى الخطاب، فلولا فعل السّرد الّذي يضطلع به القائم بالسّرد، لبقيت الأحداث في عالم الممكنات. وقد لاحظنا أنّ هذه الحكاية مقدّمة بصوت سارد خارجي عارف بكل شيء، ولكنه يفسح المجال للشخصيات لتقديم خطابها المباشر، كما يتجلّى في الامتحان الكلامي الّذي اختبر به اخشنوار كفاءة الرجل المتطوع (الحوار)، وكما يظهر في نصيحة الوزراء لفيروز(الالتماس)، وكذلك في وعظ اخشنوار لفيروز قبيل المعركة (تذكير ونهي)، فهذا التّداخل على مستوى الأصوات والخطابات من شأنه تمطيط الخطاب وتركيبه.

نستنتج من تحليل حكاية الملك فيروز واخشنوار أنّ الأحداث تتراكم وتنمو نموا أفقيا يشدّها رابط سببي وزمني، ويقابل هذا النّمو الأفقي نموٌّ عمودي على مستوى الشّخصيات والفضاء الزماني والمكاني معزّزا بتداخل الأصوات والخطابات على مستوى الخطاب.

إنّ سمة التّسلسل الخطي هذه ليست الخاصية الوحيدة في حكايات "عيون الأخبار"، فثمّة نماذج أخرى تمتاز بالتّداخل وتكسير هذه الخطيّة، وهو ما يقدّمه النموذج الثّاني.

ملخص الحكاية الثانية: حكاية النبي عزير والمدينة[17]

النبي عزير يناجي ربّه جزعا على ما حل بمدينة إلياء وأهلها من ذل وهوان /ظهور امرأة تبكي وسؤال النبي عزير عن سبب جزعها /المرأة تحكي قصتها/ كانت امرأة ذات شرف ومال ولكنها عاقر/انصراف زوجها عنها إلى ضرائرها وأولاده /دعاء المرأة الله أن يرزقها ولدا/استجابة الدعاء والرزق بالولد/الولد يكبر ويموت/المرأة تعود إلى أسوأ حال فتخرج للبريّة جزعة على حالها/عزير يصبّر المرأة على مصابها ويذكر لها مصيبة مدينة إلياء/المرأة تتحول إلى مدينة حصينة عالية الأسوار/عزير يصعق لهول ما رأى/حضور ملك لإنعاش عزير /الملك يفسر حكاية المرأة /المرأة الّتي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها/عقر المرأة يقابله خراب إلياء قبل أن يعمرها الله /هبة المرأة غلاما عند اليأس يقابله تعمير الله المدينة وابتعاث

الرسل والأنبياء وإنزال الكتاب/هلاك الولد يقابله تبديل أهل المدينة نعم الله جحودا وعصيانا، فغضب الله عليهم بتسليط عدوهم عليهم/الملك يبشر عزير بشفاعته في قومه عند الله وإعادة إعمار المدينة.

نتبيّن من خلال ملخّص الأحداث أعلاه أنّ ثمة حكاية إطارا هي حكاية عزير وجزعه على مدينة إلياء وتحوّلها من حال إعمار وازدهار إلى حال خراب وفناء، فثمّة وضعية لا توازن (تسليط الله العدو على أهل المدينة بما اقترفوا من معاصي)، وهنا يمثل فعل التّضرع والمناجاة محاولة لإعادة التوازن وإصلاح الخرق، حيث يبتدئ السّرد بصوت خارجي (الراوي وهب بن منبه) لا تتعدّى وظيفته السرديّة نقل كلام الشخصيات، حيث يتمّ نقل الأحداث على لسان الشخصيات الثلاث (عزير، المرأة، الملك)، وهنا سنكون إزاء تلفّظ مباشر، في حين بقى صوت الراوي خافتا، لا يظهر إلا في عبارات (قال، قالت...).

إنّ حالة اللاّتوازن الّتي تشهدها الأحداث تنعكس على نفسية النبي عزير، الذي يشعر بالضعف والخذلان فيلجأ إلى ربّه مناجيا، وحتى تستعاد حالة التّوازن للمدينة والنبي لابدّ من حدوث معجزة وخرق قوانين الطبيعة، وهذا ما يمهد له بإدخال شخصية أخرى في مسار الحكي، وهي المرأة الّتي ظهرت حاسرة الرّأس باكية، ممّا يثير النبي لتعزيتها بالعودة إلى الله عز وجلّ «فإنّ في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كلّ هالك وعوضا من كلّ فائت فإياه فاستعيني وإلى نظره لك فانظري»، بهذه الكلمات يتم تحفيز المرأة على الحكي؛ وهنا انطلاقة لمسار أحداث آخر(تضمين)، حيث تبدأ حكاية المرأة بوضعية افتقار (العقر)، الّذي يتمّ تعويضه عن طريق الدّعاء والتّضرع إلى الله، فترزق بولد ما يلبث أن يكبر ثمّ يموت فتعود الحال أسوأ ما كانت عليه، وتخرج المرأة هائمة على وجهها تبكي، وفي هذه النّقطة من الحكي يتمّ الرّجوع إلى الحكاية الإطار، فيواصل عزير تعزيته لها بالنظر في مصائب الآخرين، ممثلا لها بمصيبة مدينة إلياء، وفجأة تتحول المرأة وتحدث المعجزة فتظهر مدينة حصينة فيصعق عزير لهول الحدث، وبهذا الحدث العجيب يستعاد التّوازن، وهنا تتدخل شخصية ثالثة (الملك) تقوم بالربط بين الحكاية الإطار والحكاية المضمّنة، عن طريق خطاب التفسير، كما وضّحنا أعلاه.

نصل في نهاية هذا التحليل إلى وصف التّركيب الحاصل على مستوى بنية الحكاية بأنّها بنية تضمينيّة متوازية، فنحن إزاء حكايتين تتعلق كل منهما بشخصية تسرد حكايتها، وتمثل إحداهما رمزا للأخرى ولا يتبيّن التّعالق بينهما إلاّ بإدخال شخصيّة ثالثة تؤدي سردا تفسيريًّا، وبهذا تنمو بنية الحكاية أفقيا وعموديا، حيث أنّ تراكم الأحداث يوازيه تراكم الشخصيات والأزمنة والأمكنة، وتعدّد في الأصوات والخطابات.

نخلص إلى أنّ الحكاية بوصفها نوعا للخبر تمثل بداية التّركيب عن طريق تراكم الأخبار البسيطة، وأنّها منفتحة وقابلة للتّركيب والإطناب لتشكيل بنية أكبر،

ومن ثمّ شكلا أطول (قصة أو سيرة)، إلا أنّها تتميز عن الخبر البسيط بتوالد الأحداث وتعدّد الشخصيات والأزمنة والأمكنة، وبالإطناب بذكر التفاصيل على مستوى الخطاب، إلاّ أنّها تبقى متمركزة على الحدث الرّئيسي الّذي يمثل بؤرة الحكي.

ثانيا: أنماط الخبر: من الواقعي على التخيلي

إذا كان البحث في البنيات يؤدّي إلى تصنيف للأنواع بشكل عمودي، فإن ثمّة ما يجمع هذه الأنواع على صعيد أفقي، وهو ما يتعلّق بالأنماط، وقد تمّ الحديث عن الأنماط في الأدبيات الغربيّة منذ أفلاطون وأرسطو، حيث تحدّدت النّمطيّة بالطّريقة الّتي يتم بها التّعامل مع الواقع، فكان الحديث عن الواقعي والتّخييلي والتّخيّلي.

وتتلخص فكرة اللاواقعي والتخيلي والعجائبي في الثقافة الغربية حديثا من خلال عمل تزفتان تودوروف "مدخل إلى الأدب العجائبي"، حيث حدد موقع العجائبي بين الواقعي والمتخيل، بوصفه مواجهة القارئ لحدث خارق لقوانين الطبيعة[18]، مما يوقعه في حيرة: يصدق أم يكذب ما يقرأ أو يسمع؟

أما في الثّقافة العربية الإسلامية فتحضر بالمقابل ثنائية الصّدق والكذب، فقد حرص القدماء على إسناد الأخبار، وردّها إلى قائليها ورواتها، بل في كثير من الأحيان يقدّمون تراجم لهؤلاء الرّواة قبل إيراد متون الأخبار، وبشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالمقدس أو الأحاديث النبوية الشريفة. وقد جرت سنة الإسناد هذه للتحقق من مدى صحّة الأخبار ومصداقيتها، بغض النظر عن متن الخبر إن كان يخرق قوانين الطبيعة أم لا.

ولكن السؤال الذي يطرح إلى أي مدى ستسعفنا مسألة الصدق والكذب هذه لإيجاد نمطية للأخبار الّتي أوردها ابن قتيبة؟ هل يكفي فعلا النّظر في مصداقية الراوي ليطمئن القارئ/السامع إلى واقعية بعض الأخبار التي تخرق المألوف والواقعي؟

يمكن هنا أن نستثمر اقتراح يقطين الذي ينطلق في تحديد أنماط الخبر من زاوية علاقته بالتجربة، كما يلي:[19]

أ- ***الخبر = التجربة:*** عندما يكون الخبر موازيا للتجربة، نكون بصدد الأليف واليوميّ والواقعي الذي يتساوى كل النّاس في إدراكه وتمثله.

ب- ***الخبر> التجربة:*** عندما يصبح ما يقدمه لنا الخبر يفوق أو يوازي التجربة نصبح أمام عوالم جديدة تتميّز بغرابتها عمّا هو أليف وتنزاح عمّا هو متداول ويوميّ. إنّ هذا الانزياح يجعلنا في منطقة التّماس بين ما هو واقعي وما هو تخييلي.

ج- ***الخبر< التجربة***: وعندما يتجاوز الخبر التجربة ويفوقها، يتمّ خلق عوالم جديدة تقوم على "التخيّل" وذلك من خلال اختراع أشياء لا حقيقة لها بخروجها عن عوالم التجربة الواقعيّة العاديّة.

على هذا الأساس تتحدد ثلاثة أنماط للخبر كما يقدمها يقطين:

الأليف: الواقعي /الغريب: التخييلي /العجيب: التخيّلي

سنسعى من خلال هذا الطرح إلى تبيّن أنماط الخبر مهما كان نوعه (خبر بسيط، حكاية) كما تتجلى في "عيون الأخبار".

أنماط الخبر في "عيون الأخبار": من الأليف إلى العجيب

ننطلق من افتراض توفر الأنماط الثّلاثة للخبر في "عيون الأخبار" مع تفاوت أكيد في نسب ورودها، كما نفترض أنّ هذه الأخبار تندرج في الأخبار الصادقة مطلقا، أو المختلطة؛ بمعنى الكاذبة ذات الهدف الحق، هذا الحكم يتمّ الاستناد فيه لشخصيّة المصنّف (ابن قتيبة) وما كانت له من مكانة علميّة وخلفيّة معرفيّة دينيّة، فهو من علماء التّفسير للقرآن والحديث، وبالتّالي ترتبط بالأبعاد والمقاصد والّتي سيأتي تفصيلها في المبحث الموالي.

نلاحظ على صعيد آخر التأكيد على رابطة السّند الّتي كثيرا ما يعتمد عليها ابن قتيبة في إيراد هذه الأخبار، وهنا نستحضر شروط قبول الأخبار قديما الّتي يبدو أنّ ابن قتيبة يخرج عنها في "عيون الأخبار"، بعدم اكتراثه بهويّة المرويّ عنه أو المأخوذ عنه، مادام المنقول (حديثا كان أو خبرا) يؤدي فائدة، وتحصل به المنفعة، يقول معلّلا مصادر أخذه: «واعلم أنّا مازلنا نلتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهال عمّن هو فوقنا في السِّن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا، ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم، وعمّن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمة الوكعاء لجهلها فضلا عن غيرها، فإنّ العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه...»[20]، فالحق والصّدق لصيقين بالخبر الّذي يورده ابن قتيبة بغضّ النّظر عن قائله، ولا عن مطابقته للواقع مادامت المنفعة قائمة، كما أنّ ابن قتيبة واع للمجال الّذي يشتغل فيه وهو مجال الآداب والأخلاق (محاسن أو مساوئ) وليس مجال الفقه وعلم الحلال والحرام، يقول محتجّا لرأيه هذا: «حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: "خذوا الحكمة ممّن سمعتموها منه، فإنّه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرّمية من غير الرّامي"، وهذا يكون في مثل كتابنا لأنّه في آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لايلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان، فأمّا علم الدّين والحلال والحرام فإنّما هو استعباد وتقليد لايجوز أن نأخذه إلاّ عمّن تراه لك حجّة ولا تقدح في صدرك منه الشّكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين...»[21]، كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّ مفهوم الحقيقة في الثقافة الإسلاميّة لا يعني مطابقة الواقع كما رأينا عند تودوروف (قوانين الطّبيعة)، ولكنها تتكئ على مبدأ التّصديق النّابع من الإيمان، وهنا تجد أحداث لا واقعيّة من ناحية العقل، تفسيرا وقبولا على أنّها حقائق كما هو الحال بالنسبة

للغيبيّات، «ذلك أنّ الحقيقة في الإسلام أوسع من حدود الواقع الحسّي. فالإيمان –في الإسلام-يقتضي الاعتقاد بوجود كائنات ذات طبيعة مغايرة لطبيعة البشر، قد لا تقبل الانقياد إلى قوانين التّجربة الحسيّة، مثل الملائكة والجان»[22]. ويبقى على متلقي الخبر التّحقق من صدق الرّاوي أو الناقل للخبر.

وإذ أطنبنا في إيراد هذه الشّواهد هنا فإننا نبتغي التّأكيد على الخصوصيّة الّتي يتّخذها الواقعي واللاّواقعي في تصنيف الأخبار الواردة في "عيون الأخبار". وهذا ما سيتّضح من خلال استقصائنا للأنماط الثّلاثة المحددة آنفا.

1- الخبر الأليف:

استنادا إلى الاقتراح المقدّم آنفا، فإنّ الخبر الأليف هو كل خبر يضطلع بتقديم حدث يوازي التّجربة اليوميّة الواقعيّة، إذ يخلق الخبر ألفة لدى المتلقي، فلا يشعر بـ"الغرابة" ولا بـ"العجب" لأنّ كل شيء يبدو طبيعيا ومألوفا.

وعليه نفترض ابتداء أنّ القارئ سيكون أمام:

- واقع منقول ⟵ التّاريخ
- واقع محاكى ⟵ المحتمل

إنّ المتأمّل في "عيون الأخبار"، سينتبه بسهولة إلى أنّ السّواد الأعظم من الأخبار الّتي جمعها ابن قتيبة ودونها، يندرج ضمن هذا النّمط، وعندما نشير هنا إلى النّقل الحرفي للواقع أو "التاريخ"، فلا نقصد اهتمام المؤلّف بعمليّة التّأريخ للأحداث، لأن عمله كان ينحى منحىً آخر ألا وهو"الأدب"، وهذا ما يجعله مختلفا عن معاصره وابن بيئته أبي حنيفة الدّينوري الّذي وضع "الأخبار الطوال"، والّذي يعدّ مؤلّفا تاريخيا محضا، وهنا تبرز الحدود بين التّاريخ والأدب، حتّى وإن استمدّ الأدب -باعتباره دالاّ-مدلوله من التّاريخ.

نسلّم ابتداء بعدم وجود أخبار تاريخيّة محضة في "عيون الأخبار"، فإذا كانت الأخبار التأريخيّة عادة ما تهتمّ برسم حدود الزّمن والتّدقيق في نقل الحقائق بموضوعيّة، فإنّ ابن قتيبة في أخباره لا يلزم نفسه بذلك، إلاّ ما جاء عرضا، أو ارتبط بالشّخصيات الّتي تحيل على عصر أو فترة معينة، فهو لم يهتم بالتّأريخ للبلدان والأمم بل للشّخصيات وهنا نزوع نحو تشكيل اللّبنات الأساسيّة للتّراجم والسّير، ولنقدم شاهدا على ذلك الخبر التالي:

«حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن هشام عن محمّد بن سيرين قال: بعث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيّتهم العدوّ ليلا وفرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطّبل ففزع النّاس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثمّ مضى نحو الصّوت وهو يقول:

إنّ عَلَى كُلِّ رئِيسِ حقاً أن يَخْضِبَ الصَّعْدَة أو تَندَقَّا

ثمّ حمل على صاحب الطّبل فقتله، فلمّا فقد أصحاب الطّبل الصّوت انهزموا ثمّ حمل على الكردوس الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده، ثمّ جاء النّاس وقد انهزم العدوّ فاتّبعوهم يقتلونهم، ثمّ مضوا حتّى فتحوا مدينة يقال لها مروُ الرّوذ»[23].

تتجلى مظاهر الواقعيّة والألفة في هذا الخبر من خلال شقيّه: السّند والمتن. فأمّا السّند، فنلاحظ أنّ هذ الخبر مسند لرواة معروفين، يقدّمون هذه الأخبار بوصفهم شهودا عيانا، أو ناقلين عن رواة ثقاة، وهنا تحضر شروط قبول الخبر وصدقه كما تحددت مع نقاد السند. وأمّا المتن، فتتجلّى الألفة من خلال الحدث كعنصر أساس في ارتباطه بباقي المكوّنات (الشّخصية، الزمان والمكان)، إذ لا نلاحظ في أحداث هذا الخبر خروجا أو خرقا للتّجربة اليوميّة، حيث تبدو أليفة لمتلقّيها، فهذا خبر الأحنف يحارب ويجاهد في سبيل الله فينتصر، فلا شيء خارج عن وقائع الحياة اليوميّة التي كانت العرب تحياها في بداية عصر الإسلام. أما عن الشخصيات فإنّها تعتبر عنصرًا هاما لتحديد نمط الخبر، فالحدث الأليف تؤدّيه شخصيّة مرجعيّة لها وجود تاريخيّ فعلا، بحكم أنّنا نصادفها في كتب التّاريخ والسّير، فشخصيّة الأحنف، شخصيات وجدت تاريخيّا وعاشت، فلا شك في مرجعيتها.[24] أما بخصوص الإطارين الزماني والمكاني فقد أشرنا إلى أنّ ابن قتيبة لم يهتم بالتّأطير الزمني والمكاني إلاّ ما ورد عرضا في غير تدقيق، فالإشارة إلى فتح مدينة "مرو الرّوذ" في عهد عمر بن الخطاب بقيادة الأحنف إحالة إلى زمان ومكان محدّدين، ويبقى الزّمن وحده رغم أهميته في منح الخبر صفة الواقعيّة غير كاف فلا بد من اشتغاله مع هذه المكونات ككل ومنها المكان الّذي ينعدم تحديده تقريبا في هذا الخبر (خراسان، مرو الروذ)، وهنا لا بأس من التّذكير بأنّ هذه خاصيّة تميّز البنية البسيطة للخبر، بينما تتّسع العوالم المكانية والفضاءات في أشكال أطول (قصص، سير).

وهكذا يتقدّم الضّرب الأول للنّمط الأليف للخبر (التاريخ)، محاولا أن يمدّ المتلقي بقطعة أو حادثة من حياة شخصيّة معروفة، لمقاصد وغايات ترتبط بالباب الّذي أدرج ضمنه الخبر(باب الشجاعة والحيل في الحروب).

أمّا الضّرب الثّاني للنّمط الأليف المتمثّل في "المحتمل"، فهو ما لا نملك الجزم بوقوع أحداثه والتّأكد من وجود شخصيّاته وجودا حقيقيا، ولكنّه في عمومه مواز للتجربة اليومية لا يخرج عنها. وحتّى يتضح ذلك لنتأمّل الخبر التالي:

«مرّ رجل من العبّاد وعلى عنقه عصا في طرفيها زبيلان قد كادا يحطّمانه في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر تراب، فقيل له ما هذا؟ قال: عدلت البُرَّ بهذا التراب، لأنّه كان قد أمالني في أحد جانبي. فأخذ رجل زبيل التّراب فقلبه وجعل البُرّ نصفين في الزّبيلين وقال له: احمل الآن، فحمله، فلما رآه خفيفا قال: ما أعقلك من شيخ»[25].

أول ما يلاحظ على هذا الخبر أنّه غير مسند، فثمّة راوٍ مجهول (ولنرجّح أنّه ابن قتيبة باعتباره الناقل المدون)، فالخبر محكي دون واسطة، حيث يقف الرّاوي خلف الأحداث والشخصيات ولا يظهر إلا ضمير الغائب. وهكذا بغياب العنعنة يترك

الباب مفتوحا أمام المتلقي لتصديق أو لا تصديق هذه الأخبار. أما بالانتقال إلى المتن للنّظر في مكوّنات الخبر، فسنلاحظ أنّ الأحداث أليفة لا غرابة فيها ولا عجب، ومنه يحتمل أنّها وقعت أو قابلة لذلك. أمّا شخصياتها فهي شبه مرجعيّة (رجل، شيخ، أعرابي، ...) فهي كلمات عامة مشتركة تحيل على شخصيات مألوفة تنتمي للعالم الطبيعي ومن هنا تستمدّ واقعيتها. وبالنسبة لعنصري الزمان والمكان فتغيب مؤشراتهما تماما.

نصل بعد معاينة نمط الخبر الأليف في "عيون الأخبار" إلى أنّه يتدرج من النّقل الحرفي للوقائع الّتي حدثت فعلا، والّتي تحيل على مرجع محدد (أحداث تاريخية وشخصيات مرجعية)، إلى المحتمل الّذي لا يخالف الواقع ولا يخرج عن التّجربة، ومع هذا الثّاني يفتح المجال لتداخل الواقعي بالتّخييلي فينحو الأليف نحو "الغريب"، ومنه إلى العجيب كما سنرى، من هنا يتّضح لنا كما ذهب الباحث سعيد جبار كيف كان الرّواة يستغلّون أحداثا واقعية لينسجوا حولها أخبارا تخييلية تزيد الأحداث تشويقا وجماليّة ويتداخل بالتّالي الواقعي والتخييلي في صورة محكمة متناسقة.[26] وهذا التّداخل هو ما سيظهر في النّمطين التّاليين.

2- الخبر الغريب:

في الخبر الغريب يكون المتلقي أمام أحداث ووقائع تخرج عن المألوف واليومي، فالخبر يفوق التّجربة ويخرج عنها، إلاّ أنّه يجد له سندا في الواقع بوجه من الوجوه، بمعنى أنّ الغرابة الّتي تواجه المتلقّي يمكن تفسيرها بقوانين العقل.[27]

وهنا يحضر السؤال التّالي: أين تكمن هذه الغرابة في أخبار ابن قتيبة؟ ومن الّذي يشعر بها؟ أ هو المتلقّي أم الراوي أم الشخصية؟ وفي أي مكوّن ومستوى يقع الخروج عن المألوف أفي الحدث أم الشخصيّة، أم في مستوى آخر (اللّغة مثلا)؟

إنّ هذه الغرابة والعجب يضعان الخبر في مستوى القراءة، فالمتلقّي هو الّذي يشعر بها تبعا لخلفيّته الثقافيّة وتجربته اليوميّة، فخرق التّوقع، وتحطيم الألفة بين الخبر والمتلقّي هو ما يولّد الحكم عليها بالغرابة، والمتلقّي في "عيون الأخبار" منقسم إلى: متلقٍّ حاضر في الخبر(ضمني) قد يكون الرّاوي أو الناقل أو الشخصيّة، ومتلقٍّ غائب غير محدّد زمانيا ولا مكانيا، والّذي يضمّنا بوصفنا متلقّين للخبر من مسافة حضاريّة معيّنة.

نلاحظ على نصوص الخبر في "عيون الأخبار" أنّها كثيرا ما تحمل في ذاتها إشارات انتمائها إلى الغريب والعجيب، وذلك من خلال الوصف الذي يقدم به الرّاوي حكيه -بالأخص إذا كان مشاركا-وهنا نشير إلى ظهور حاجات تلقٍ جديدة في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، أو بالأحرى تخصّ فئة معيّنة (العوام، المتفكّهون) في مقامات مخصوصة (السّمر والمنادمة)، حيث يتجلّى إقبالهم على الأخبار ولا سيّما العجيب والغريب والظريف والطّريف، «حتّى أنّهم يشترطون هذا النّوع قبل سماعه، ويُطرُونه إن استجاب لرغباتهم ويستعيدونه إن أرادوا الإمتاع به»[28]، وهذا ما يمكن

أن نلاحظه مثلا في ما ورد من أخبار تحت باب "أخبار الشّجعان والفرسان وأشعارهم"، والّتي تقدّم نماذج تخرج عن المألوف في الشّجاعة، لنقرأ الخبر التالي:

«حدّثني أبو حاتم قال: حدّثني الأصمعي قال: سمعت الحَرَسيّ يقول رأيت من الجبن والشجاعة عجبا. استثرنا من مزرعة في بلاد الشّام رجلين يذريّان الحنطة، أحدهما أُصَيْفِر أُحَيْمِس، والآخر مثل الجمل عِظَما، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابة إلاّ نخّس أنفها وضربها حتّى شقّ علينا فقُتِل ولم نصل إلى الآخر حتّى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضّخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخَضْخَضُ في مثل كوز ماء»[29]

يتّضح من السند أنّ هناك مقاما معيّنا يدعو؛ بل يشترط رواية هذا النّمط من الأخبار الخارجة عن العادة والمألوف، وهذا الرّاوي بوصفه شخصية فاعلة في الخبر يُشعِر متلقيّه بالغرابة والعجب ويهيِّئه لتلقّي هذا النّمط، ولكنها تبقى أحداثا قابلة للتّفسير منطقيًّا، فالغرابة هنا تكمن في رؤية الرّاوي. أمّا عن مظاهر الغرابة في الخبر فتخص الصّفات الّتي قُدِّمت بها هيئات الشّخصيات وأفعالها، حيث نلمس المفارقة بين الهيئة والفعل.

يتجلى إذن ما لصيغة الحكي من دور في إبراز غرابة الخبر، وعليه فطريقة الحكي هي الأخرى تسمح بانتماء الأخبار إلى نوع أو نمط ما. هكذا تبدو الغرابة في مستوى آخر غير مستوى الأحداث والشخصيات إنّه مستوى اللغة، فغرابة اللغة (باعتبارها ممارسة يوميّة) وابتعادها عن اليوميّ والمألوف من شأنه إحداث الغرابة لدى المتلقيّ، وهذا ما يتّضح في الأخبار الواردة في كتاب "***العلم والبيان***" تحت باب بعنوان ***"باب التّشادق والغريب"*** ، فثمّة فئة خاصّة من المجتمع (النحويّون واللغويّون والأعراب) تخرج عنه في خطابها الغريب والحوشيّ، هذا الخطاب الّذي يتقدّم بوصفه فعلا (فعل الكلام) يتنافى والتّجربة اليومية (اللّغة السّائدة)، وهنا نستحضر خبر أبي علقمة النحويّ «مرّ أبو علقمة ببعض الطّرق بالبصرة فهاجت به مِرّة فسقط ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذّنون في أذنه، فأفلت من أيديهم وقال: مالكم تَتَكَأْكَأُون عليَّ كما تَتَكَأْكَأُونَ على ذي جِنَّة، افْرَنْقِعُوا عنِّي ! فقال رجل منهم: دعوه فإنّ شيطانه هنديّ، أما تسمعونه يتكلم بالهنديّة»[30]. فقد استطاع بكلامه الغريب التّخلّص من القوم الّذين هجموا عليه، إذ جعلهم يحسبونه مسكونا بشيطان هندي، وهذا الاعتقاد الحاصل نتاج مسلّمة راسخة عند العرب تنسب كلّ كلام "غريب" و"عجيب" "فذ" للجنّ والشّياطين (مخلوقات فوق طبيعية)، من هنا ينحو التّخييل نحو التّخيّل والغريب نحو العجيب.

3- الخبر العجيب:

يكون الخبر عجيبا عندما يتجاوز التّجربة ويفوقها، حيث يتمّ خلق عوالم جديدة تقوم على التّخيل من خلال اختراع أشياء (أحداث، أشخاص، كائنات) لا وجود لها في عالم التّجربة الواقعيّة العاديّة، فهل نحن بصدد اللاّصدق الّذي تحدّث عنه ابن قتيبة

وابن وهب وغيرهما؟ إنّ مفهوم الحقيقة في الثّقافة الإسلاميّة يتّسع ليشمل قوانين الفيزيقا والميتافيزيقا، لأنّه نابع من الإيمان الرّاسخ بوجود عوالم أخرى غيبيّة، تتجاوز مدركاتنا الحسيّة ولكنّنا نؤمن بها، بل يجب ذلك.

وعلى هذا الأساس عندما نصادف أخبارا تتحدّث عن كائنات لا تنتمي للعالم المحسوس مثل: "الملائكة" و"الجن" و"الشياطين" و"الغول"...، أو أفعالا خارقة لقوانين الكون كـ"المعجزات" و"الكرامات" الّتي يؤدّيها صنف خاص من البشر (الأنبياء والأولياء والصّالحين)، فهذا لا يعني خروجا عن مبدأ الحقيقة والصّدق الّذي يتحرّى ابن قتيبة تحقيقه من خلال تأكيده على رابطة السّند كلّما تعلّق الأمر بإيراد هذا النّمط من الإخبار.

وفي الوقت نفسه لا ينتفي شرط العجيب – كما حدّده تودوروف-بالإقرار بحقيقة هذه الأخبار الّتي لا تنفي عدم قبولها تفسيرا بقوانين الطّبيعة، وهنا يظهر أنّ معيار العجب ليس مطلقا، فهو محكوم بسياق ما، ومنه يختلف باختلاف الثّقافات، «فما هو عجيب عند قوم ليس كذلك عند قوم آخرين، وإن كانت هناك عجائب مشتركة عند الأمم جميعا»[31].

يلاحظ أنّ ورود هذا النّمط من الأخبار بنسبة أقلّ مقارنة مع النّمطين السّابقين، لا سيّما الأليف، ولكن ما وجد يكفي لتبيّن الملامح الأساسية الّتي تُدخل الخبر ضمن دائرة العجيب، وتمهّد لظهور أنواع حكائيّة (المعراج، الكرامة، المنقبة..) تؤسّس لما يسمّى بالأدب الصوفيّ في مرحلة لاحقة.

من خلال استقرائنا لـ" عيون الأخبار" يمكن تحديد مواقع الخبر العجيب الّذي تحضر فيه كائنات لا تنتمي لعالمنا، وذلك ما يقدّمه ابن قتيبة في آخر كتاب ***"الطبائع والأخلاق المذمومة"*** تحت باب بعنوان ***"الجنّ"*** [32]، كما يورد أخبارا تتعلّق بمعجزات بعض الرّسل وما فيها من خوارق في كتاب "الزهد" تحت باب "ما أوحى الله عزّ وجلّ إلى أنبيائه عليهم السّلام"[33].

أمّا في "باب الجن" فنعثر على طائفة من الأخبار المسندة بسلسلة رواة ثقاة، يرد فيها ذكر لهذه المخلوقات وما كان لها من حوادث مع النّبي والصّحابة، ممّا يؤكد أنّ مظهر الحقيقة في العجيب، هو مظهر راسخ في الثّقافة الإسلاميّة، يمتلك واقعيّته داخل نص الخبر وخارجه، لنقرا الخبر التالي:

«حدّثني سهل بن محمّد عن الأصمعي قال: أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَيْر بن ضُبَيْعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وابن ظبيان – أو رفيق له آخر ذكره-عرضت لنا عجوز-كذا سمعته يقول، إن شاء الله أو شيخ-ورأيتُ في كتاب محمّد ابنه- وصبيّ يبكي؛ فقال إنّي منقطع بي في هذه الفلاة فلو تحمّلتماني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلفه، فمكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفّس فخرج من فيه نار مثل نار الأتُّون فأخذ له عمير السّيف؛ فبكى وقال: ما تريد منّي؟ فكفّ عنه ولم يعلم صاحبه بما رأى؛ فمكث هنيهة ثمّ عاد، فأخذ له السّيف؛ فبكى وقال: ما تريد منّي؟

وبكى؛ فتركه ولم يعلم صاحبه؛ ثمّ عاد الثّالثة ففغر في وجهه؛ فحمل عليه بالسّيف؛ فلمّا رأى الجدّ وثب وقال: قاتلك الله ما أشدّ قلبك! ما فعلته قطّ في وجه رجل إلا ذهب عقله»[34].

نلاحظ في هذا الخبر حضور مخلوقات من عالم آخر وهي "الجن" وعبورها إلى عالمنا المحسوس وتعاملها مع بني البشر، بوصفنا قراء ننتمي إلى الثّقافة الإسلامية نؤمن بوجود هذه المخلوقات رغم تجاوزها لحواسّنا الإدراكيّة، وعليه يبقى التّخيل هو سبيل التفكير في هذه العوالم وإمكانيات وجودها، وقد عملت المخيّلة العربيّة على نسج أخبار وأحوال هذه المخلوقات وظلت مُهابة يُخشى منها، وساد الاعتقاد بامتلاكها قدرات خارقة على التّحول والأذى والنّفع، وهذا الاعتقاد راسخ يجد سنده من المقدّس لقوله عزّوجل في سورة ***"الجن"*** : ***(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقًا)*** [الآية 6]، ولكنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه كيف يتّقون شرّ هذه المخلوقات بالتحصن بالأذكار وقوة الإيمان.

يتجاور "الأليف" مع "العجيب" في هذه الأخبار وهو شرط من شروط تحقّق العجائبي على النّحو الّذي صاغه تودوروف، هذه الجنّة في عبورها إلى العالم المحسوس اتخذت هيئات مألوفة (الشيخ) ولكن أفعالها الخارقة (نفث النّار من الفم) وحضورها واختفاؤها في أماكن وأوقات محددة(القيلولة، اللّيل، السّفر..)هو ما يكسب الخبر عجائبيّة تدخله في نطاق العجيب.

هذا بالنّسبة لباب ***"الجن"*** ، أمّا فيما يخص ما جاء من معجزات الرّسل فقد أورده ابن قتيبة تحت سند آحاد وهو ***"وهب بن منبّه"*** الّذي أُخذت عنه كثير من أخبار الأنبياء في الثّقافة الإسلاميّة[35]، لتحضر بذلك نصوص عن أمم غابرة ليس من سبيل للتّأكد من وجودها إلاّ المرجعيّة الدينيّة، وحيث أنّ النّبي أذن للمسلمين الأخذ -في مجال قصص الأنبياء وأقوامهم الغابرة لأخذ العبرة والدرس من معجزاتهم-عن اليهود والنّصارى شرط عدم التناقض مع ما جاء من ذكرهم في القرآن، فإنّنا نلاحظ حضور المرجعيّتين اليهوديّة والمسيحيّة جنبا إلى جنب مع المرجعيّة الإسلاميّة، والّتي عملت مجتمعة على إنتاج أحداث تخيّلية بهدف ترسيخ مجموعة من المعتقدات في ذاكرة المتلقّي. وقد مرّ معنا في موضع سابق نموذج لمعجزة نّبي، ونشير هنا إلى "حكاية النّبي عزير والمدينة"[36]، حيث تتجلّى عناصر العجيب من خلال حضور كائنات غيبيّة ممثلة في شخصيّة الملك، وكذلك المرأة التي تتحول فجأة إلى مدينة عالية الأسوار، وتلك هي المعجزة الّتي يختص بها الله من خلقه من يشاء، فخالق هذا الكون يخرق قوانينه متى شاء ولمن يشاء.

نخلص في استقصائنا لمظاهر نمط "الخبر العجيب" من خلال "عيون الأخبار" إلى أنها رغم تحقيقها شرط الخروج عن المألوف من حضور لكائنات من عوالم أخرى، وخرق قوانين الكون بشكل يرفض تفسيرا عقليا، إلا أنّها لا تتنافى

ومبدأ الحقيقة الّتي تجد سندها في الخلفيّة العقائدية الّتي تدعم هذه الأخبار، فما يعجز العقل عن تفسيره بقواعد المنطق، يفسّره القلب بقواعد العقيدة.

ثالثا: مقاصد الخبر وأبعاده بين الجد والهزل

بعد معاينة بنيات الخبر الّتي حدّدت نوعين أصليّين للخبر(الخبر البسيط والحكاية)، وأنماط الخبر الّتي تحدّدت وفق النّظر في العلاقات الّتي تربط الخبر بالتجربة(الأليف والغريب والعجيب)، ثمة زاوية أخرى تساعد على تصنيف الخبر، الذي يتنّوع ويختلف حسب الاستعمال والأبعاد والمتلقي، ألا وهي المقاصد، ولتحقيق ذلك لابدّ من النّظر في مقاصد المصنّف ابن قتيبة المعلنة والخفيّة من جانب، ومحاولة الإلمام بالسّياق الثّقافي الّذي ينتمي إليه المصنّف من جانب آخر، والسّعي إلى التّركيب بينهما.

ابن قتيبة ومقاصد الخبر

لاشكّ أنّ عمل ابن قتيبة في مصنّفه "عيون الأخبار" لا يخرج عن الثّقافة السّائدة في عصره من جانب، وعن الطّابع الدّيني والعلمي الّذي يميّز مؤلّفاته من جانب آخر[37]، ولئن كان في عمله التّصنيفي هذا يبدو مكتفيا بالنّقل والتّصنيف، إلاّ أنّه يبدو واضح المقاصد بيّن الغايات من تأليفه، واعيا بنوعيّة المتلقّين الّذين يتوجّه إليهم، كل هذا يبدو من خلال مقدّمة "عيون الأخبار"، وهنا نتبين الدّور الّذي تلعبه المقدّمات في توجيه القراءة وتحديد المعنى كما أشار إليها الباحث عبد الله العشّي بقوله: «يسعى كتّاب المقدّمات إلى تقديم توضيحات لبعض نصوصهم خوف الانصراف عن مقصديّة الكاتب، وذلك كطريقة نموذجيّة للقراءة تجنبا للفهم الضّال والتّفسير الخاطيء»[38].

يشير ابن قتيبة إلى المقصد العام الّذي يبتغي تحقيقه من خلال "عيون الأخبار"؛ الذي يخرج قليلا عن طابع تأليفه الديني والعلمي؛ فهو-عيون الأخبار-«وإن لم يكن في القرآن والسنّة وشرائع الدّين وعلم الحلال والحرام، دالّ على معالي الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدّناءة ناه عن القبيح باعث على صواب التّدبير وحسن التّقدير ورفق السّياسة وعمارة الأرض...»[39]، وبهذا يتّضح المقصد الأخلاقيّ كموجّه أساس لهذا العمل، ومنه اكتساب شرعية الانتساب إلى "النّص" في الثّقافة العربيّة، ولكن لا ينبغي أن نفهم من هذا الكلام أنّ ابن قتيبة فضّل ثقافة على حساب أخرى، أوجدّ الكلام على هزله، أو آثر طبقة من المتلقيين على أخرى، وإنّما حاول الوقوف موقفا وسطيّا يجعله يرضي أكبر قدر من الجماهير، بتلبية حاجات مختلف الطّبقات، ولهذا ماثل كتابه "بالمائدة الّتي تختلف فيها مذاقات الطُّعوم لاختلاف شهوات الآكلين"[40].

ومن هنا يمكن القول أنّ ابن قتيبة في خروجه النّسبيّ هذا يحاول إرضاء كلّ الفئات؛ إذ ليس من العدل والصّواب أن يقصُرَ "عيون أخباره" على ثرائها وتنوّعها، على فئة دون أخرى، يقول: «ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدّنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواصّ النّاس دون عوامّهم، ولا على ملوكهم دون

سوقتهم، فوفيّت كلّ فريق منهم قسمه ووفّرت عليه سهمه وأودعته طرفا من محاسن كلام الزّهاد في الدّنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا، في المواعظ والزّهد والصّبر والتّقوى واليقين وأشباه ذلك لعلّ الله يعطف به صادفا، ويأطِر على التّوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب. ولم أُخلِهِ مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة، لئلاّ يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ولأروّح بذلك عن القارئ من كدّ الجدّ وإتعاب الحقّ، فإنّ الأذن مجّاجة وللنّفس حمضة، والمزح إذا كان حقّاً أو مقاربا لأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبته مُشاكلا ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصّغائر إن شاء الله»[41].

يتضح من هذا الكلام أنّ ابن قتيبة يحدّد ثلاث فئات للمتلقّين، مخصّصا لكلٍّ منها الأشكال والموضوعات الّتي تلائمها، كما نبيّن أدناه:

- ***طالب الآخرة/ طالب الدّنيا***
- ***الخواص/العوام***
- ***الملوك/ السّوقة***

ينتمي الطّرف الأوّل من كل ثنائيّة (الخواص، الملوك، طالب الآخرة)، إلى "الثقافة العالمة"، الّتي يخاطبها ابن قتيبة بخطابها الخاص، الّذي تغلب عليه موضوعات الزّهد والمواعظ والمناصحات، وذلك بغية تحصيل المعرفة (الجدّ).

أمّا الطّرف الثّاني من كلّ ثنائيّة (طالب الدّنيا، العوام، السّوقة)، فتنتمي إلى "الثقافة العاميّة" والّتي لها خطابها الخاص هي الأخرى ممثّلا في النّوادر واللّطائف وغيرها، وهنا سيتعلّق الأمر بالموضوعات المضحكة والمعجبة لتحقيق التّسلية والتّرفيه والإمتاع (الهزل).

وعليه يمكن تصنيف الخبر وفقا لاعتبار الجد والهزل كمايلي:

1) خبر جديّ: (نقل معرفة، تغيير سلوك المتلقيّ) وهنا نكون أمام نوعين هما: الخبر التّعرّفي والخبر الوعظي.
2) الخبر الهزلي: (التفكه والتّرويح) وهنا نكون أمام: الخبر التّفكّهي.

1- الخبر التّعرفي: وهو الخبر الّذي يكون القصد منه تحصيل معرفة ما (دينيّة، سياسيّة، تاريخيّة...)، مثل الخبر التالي:

«وحدّثني عبد الرّحمان بن عبد المنعم أو أبيه عن وهب، قال: كان إدريس النّبيّ عليه السّلام أوّل من خطّ بالقلم وأوّل من خاط الثّياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود»[42].

نلاحظ على الخبر البسيط أنّه ينقل معلومة حول أوّل من خطّ بالقلم وخاط الثّياب، وهو النّبي إدريس عليه السلام، وهنا يتّضح هدف التّبليغ وتوصيل المعرفة جليا وبشكل مباشر، وإن شئنا فلنقل هيمنة الوظيفة الإبلاغية، بغية تحصيل هذه المعرفة، وهو ما تقدّمه عديد من أخبار وحكايات الأذكياء والشّرفاء والأنبياء، سواء

في باب حيل الحروب، أو أخبار الشجعان أو غيرها من الأبواب الّتي يزخر بها مصنّف "عيون الأخبار" في كتبه العشرة.

نصل من خلال هذا النوع إلى أنّ المصنّف يريد توصيل المعرفة، بجعل المتلقي يكتشف أشياء جديدة عن طريق إعمال الفكر والتّأمل، فنحن هنا إزاء "الإخبار" و"التّعرّف". وهو المقصد الأساس الذي بنى عليه ابن قتيبة مصنّفه، حيث جعله «لمغفل التّأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة ولسائس النّاس ومسُوسِهم مؤدّبا»[43]، محقّقا بذلك مقصد التّعليم والتّوجيه.

2 – الخبر الوعظي: وهو الخبر الّذي يكون القصد منه خلق انفعال لدى المتلقّي وهنا تبرز العلاقة الوجدانيّة، وهذا الانفعال يتمّ عن طريق البكاء والتّدبّر، وهذا ما تمثّله مجموعة الأخبار والحكايات الّتي تتعلّق بالمواعظ والأنبياء والزّهّاد والصّالحين والمشيب والموت والقبور والقيامة، ويتجسّد هذا في كتاب الزهد من "عيون الأخبار"، الّذي نمثل عنه بالخبر التالي:

«احتضر فتى كان فيه زهو، فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان، فقال لهما: ما يبكيكما؟ قالا: الخوف عليك لإسرافك على نفسك، فقال: لا تبكيا فوالله ما يسرّني أنّ الّذي بيد الله من الرّحمة بأيديكما»[44] .

3-الخبر التّفكّهي: إذا كان الخبر الوعظي يخلق انفعال "البكاء" و"الانقباض" و"الخوف" عند المتلقّي، فإنّ الخبر التّفكّهي على العكس تماما، إذ يثير انفعال "الضّحك" و"الانبساط" و"الانشراح"، وهو ما يتجلى في ثنايا "عيون الأخبار" من خلال أخبار الحمقى والمعتوهين، ونوادر البخلاء ونكات النّحويين وحكايات الجبناء، كما نجد في الخبرين :

- «وشبيه بهذا حديث لأبي حيّة النّميري، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، فكان يسمّيه لعاب المنيّة. قال جار له: أشرفتُ عليه ليلة وقد انتضاه وشمّر وهو يقول: أيّها المغترّ بنا والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنيّة الّذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته. أخرج بالعفو عنك وإلاّ دخلت بالعقوبة عليك، إنّي والله إن أدع قيسا تملأ الأرض خيلا ورجلا. يا سبحان الله، ما أكثرها وما أطيبها! ثمّ فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاني حربا»[45].

-«تزوّج أعرابيّ امرأة، فلمّا دخل بها عابثها فضَرطت فخرجت غضبى إلى أهلها، وقالت: لا أرجع حتّى يفعل مثلما فعلتُ فقال لها عودي لأفعل. فعادت ففعل؛ فبينما هو يداعبها إذ حَبَقَت أخرى، فقال الأعرابي:

طَالبتِني دينًا فلم أقضكِ والله حتَّى زدتِ في قرضِكَ
فلا تَلوميني على مطْلِه إن كانَ ذَا دَأبكِ لم أقْضكِ»[46]

نلاحظ من خلال هذين الخبرين الانتقال من النّقيض إلى النّقيض في العلاقة الوجدانيّة بين البكاء(الجد) والضحك(الهزل)، وأنّ هذا الهزل الحاضر في ***"عيون***

الأخبار" يخترق المكرّس من الخطابات "الجديّة" وهذا ما يبدو في أنواع الشّخصيات المختارة لهذا الضّرب من الأخبار، فهي شخصيّات هامشيّة ومقصاة ذوات خلائق وطبائع غريبة، مضحكة، مثيرة للسّخرية، وهكذا ستجد فيها فئة طلاّب اللّهو والمرح سدّا لحاجاتها التّرفيهيّة، هذه الفئة من المتلقّين هي الّتي يرغب ابن قتيبة استقطابها وإقبالها عليه، ولهذا نراه يزجر المتشدّد المتزمّت المعترض على هذه الأشكال منذ البداية، يقول في مقدّمته: «فإذا مرّ بك أيّها المتزمّت حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به واعلم أنّك إن كنت مستغنيا عنه بتنسّكك فإنّ غيرك ممّن يترخّص فيما تشدّدت فيه محتاج إليه، وإنّ الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيّأ على ظاهر محبّتك، ولو وقع فيه توقّي المتزمّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولعرض عنه من أحببنا أن يُقبل إليه معك»[47].

هذه الخشية من انتقاص بهاء الكتاب وجماله هي الّتي رخّص بها ابن قتيبة لنفسه إيراد هذه الأخبار الهازلة، والّتي قد تحوي فحش الكلام ورفث القول وذكر العورات، وهنا تنشأ علاقة حسيّة من شأنها أن تثير اللذة (الجنسيّة بشكل خاص) لدى المتلقي، كما بدا في الخبر الثاني، وهو ما يتنافى مع المقصد الأخلاقي الّذي حدّده ابن قتيبة، ولهذا نلفيه يسدّ هذا الباب ويضع حدودا للهزليّ لئلاّ يخرج إلى باب الفسوق والتّماجن على نحو ما يستعمله الجهّال.

ويعلل ابن قتيبة جواز استعمال هذا الضّرب من الهزل: «... ولم أترخّص لك في إرسال اللّسان بالرّفث على أن تجعله هِجِّيراك على كلّ حال وديدَنَك في كلّ مقال، بل التّرخّص منّي عند حكاية تحكيها أو رواية ت+رويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التّعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السّلف الصّالح في إرسال النّفس على السّجيّة والرّغبة بها عن لبسة الرّياء والتّصنّع»[48]. هذه إذن شروط وحدود استعمال "الهزل" في ذكر الأخبار، الّتي يتحدّد وفقا لها هزل مشروط بمقاربة "الحق" ومجانبة "الباطل".

يمكن القول أن ثنائيّة (جد/هزل) كان لها اثر في تقسيم إلى ثقافتين عالمة وعاميّة، وتكريس الأولى والاعتراف بها على حساب الثّانية، ودورها في توجيه مقاصد الكلام العربي بشكل عام والخبر على وجه أخصّ، وكذا من خلال التّأمل في الأخبار الواردة في المصنّف على ضوء مقاصد ابن قتيبة وأهدافه وغاياته المُعلَنِ عنها في مقدّمته، أمكننا التوصّل إلى تصنيف ثلاثي للخبر باعتبار العلاقات المختلفة الّتي ينشئها مع متلقّيه، مستهدفا تحقيق ثلاث مقاصد، قد تتضافر في الخبر الواحد، كما قد ينفرد الخبر بأحدها وهي: ***المعرفة والتّوجيه، الوعظ والإرشاد، الفكاهة والتّرويح***، ومنه كان: ***الخبر التّعرّفي، والخبر الوعظي، والخبر التّفكّهي.***

وأخيرا لسنا ندعي في هذا المقال استنفاد كل القضايا المتعلقة بتصنيف الخبر النواة الأساسية لعديد من الأنواع السردية في التراث، إلاّ أننا حاولنا الإلمام بأهمها، ويمكن مماثلة الخبر بزهرة النرد لا يظهر وجه إلاّ وقد اختفت أوجه أخر.

الهوامش:

1 -سعيد يقطين، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1997. ص 191.
2 -عبد الفتّاح كيليطو،الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1983. ص 24.
3 -ويبدو ذلك جليا في أطروحات كل من إخنباوم وتوماتشيفسكي وشلوفسكي حول الفرق بين الرواية والقصة والأحدوثة وبناء كل منهما ينظر: **تزفيتان تودوروف**: نظرية المنهج الشكلي:نصوص الشّكلانيين الرّوس، تر: إبراهيم الخطيب،د ط،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،د ت.
4 -يمكن الرجوع إلى الدراستين: A-Mountaindon, les formes brèves -
A-Jolles , les formes simples
5 -سعيد يقطين، الكلام والخبر، ص 195.
6 -يراجع: رولان بارت، التحليل البنيوي للقصص، تر:منذر عياشي،ط2، مركز الإنماء الحضاري، سوريا،2002. ص 14.
7 -Claud Bremond :Logique du récite,Seuil,1973,p32، نقلا عن حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، . ص 40.
8 -ابن قتيبة،عيون الأخبار، تحقيق: محمد الإسكندراني،ط5،مج 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002. ص 204.
9 -محمد القاضي، الخبر في السرد العربي(بحث في السردية العربية)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998. ص 355.
10 -عيون الأخبار، مج 3، ص 244.
11 - نفسه مج 1، ص 372.
12 -نفسه، مج 2، ص 731.
13 -نفسه ، مج 1، ص 307.
14 -حول تشكل بنية الإطناب يراجع: سعيد يقطين، قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب. ص 25.
15 -عيون الأخبار، مجلد 1، ص 154.
16 -سعيد يقطين، قال الراوي، ص 30.
17 -عيون الأخبار، مجلد 2، ص 653.
18 -تزفيتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، ط1، دار شرقيّات، مصر، 1994. ص 57.
19 -سعيد يقطين، الكلام والخبر، ص 199.
20 -عيون الأخبار،مجلد 1،ص 42.
21 -م ن، مج1،ص 42.
22 -لؤي خليل، عجائبية النثر الحكائي: أدب المعراج والمناقب، دط، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، 2007. ص 149.
23 -عيون الأخبار، مجلد 1، ص 209.
24 -يراجع: سعيد يقطين، قال الرّاوي، ص 96.

25 -عيون الأخبار، مجلد 2، ص 438.
26 -يراجع: سعيد جبار، الخبر في السرد العربي(الثوابت والمتغيرات)،ط1، شركة المدارس للنشر والتوزيع، المغرب،2004. ص 205.
27 -يراجع: تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بوعلام،ط 1، مصر، 1994. ص 60.
28 -محمد القاضي، الخبر في السّرد العربي، ص 634.
29 -عيون الأخبار، ص 207.
30 -عيون الأخبار، مجلد 2، 560.
31 -سعيد يقطين، ذخيرة العجائب العربية: سيف بن ذي يزن، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1994، ص 10.
32 -عيون الأخبار، مج2، ص 509.
33 -م ن، مج 2، ص 646.
34 -م ن، مج 2 ص 511.
35 -يراجع: ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: صديقي جميل العطّار، ط 1، دار الفكر، لبنان، 2003.
37-حول مؤلفات ابن قتيبة يراجع تقديم المحقق محمد الاسكندراني، عيون الأخبار، مج1، ص 14-26.
38 -عبد الله العشّي، زحام الخطابات، دط، دار الأمل، تيزي وزو،2005، ص159.
39-عيون الأخبار، مج 1، ص 38.
40-م ن، ص 39.
41-م ن،مج1، ص 39.
42 -من ، مج 1 ، 85.
43-م ن،مج1، ص 38.
44 -م ن ، مج 2، ص 736.
45 -من، مج 1، ص 204.
46 -من ، مج 4، ص 386.
47-م ن، مج 1، ص 39.
48-م ن، ص 40.